المفتتح

صمود متوج بالنصر

.. الصمود الاسطوري الذي ابدته المقاومة اللبنانية ووقوفها الشجاع في وجه الهجمة التتارية – النازية – الصهيونية واحباطها للمؤامرة الدولية لابادة الشعب اللبناني الشقيق والقضاء المبرم على المقاومة اللبنانية وكبح جماح صمودها قد اثبتت بما لايدع مجالاً للشك بأن ارادة الشعوب لاتقهر حقاً .. فما تروج له وسائل الاعلام الامريكية – الصهيونية – الغربية من تفوق الالة العسكرية الصهيونية الضاربة وقدرات العسكارياتية الصهيونية على سحق كل الجيوش العربية في ضربة ماحقة واحدة لم يعد سوى مقولة فارغة من اي مضمون مادي بعد ان تمكنت المقاومة اللبنانية من الصمود في وجه هذه الالة العسكرية الصهيونية وجيشها لتنزل بالعدو الصهيوني ضربات موجعة جعلت من الصهاينة مجرد جردان مختبئة بين اوكار الملاجئ ينتابهم الذعر والخوف والصرخات المدوية بفعل الضربات البطولية لصواريخ المقاومة اللبنانية التي استطاعت ان تصل إلى مختلف اوكار العدو الصهيوني دون ان يتمكن من خدش بطارياتها نأهيكم عن تحطيم قواعدها كما زعم عن قدرته من تحطيم القدرات العسكرية للمقاومة اللبنانية في بضعة ساعات منذ بدء العدوان الصهيوني وها نحن على مقربة من الشهر منذ بداية العدوان والعدو مازال يتكبد مئات القتلى والجرحى ويفقد مئات الدبابات والبطاريات فيما صمود المقاومة اللبنانية يزداد عنفواناً ومدى صواريخ المقاومة تاخذ ابعادا بعداً ومداً لتصل الى ابعاد ابعاد عمق اعماق العدو الذي لم يعد يمتلك سوى الاستعانة بأمريكا والمنظمات الدولية الشريكة لها بالعدوان لوقف اطلاق النار حفاظاً على ماء وجهه المخزي – العبوس فالى النصر سائرون .

نور محسن الصياغ

انين وطن

سماح معدان

لبنان ايها الطائر الجريح
ابلدا تيم بحبه المسيح
لبنان يابلدي
وبلد كل عربي صريح
اصابتك الصواريخ
فاحترقت الاطفال
ونصبت كم من ضريح
●●●
لبنان
يابلد الارز
يابلد المجد والعز
دمرك اليهود
احرقت في مرأى ومسمع منا
ونحن صامتون رغماً عنا
ماذا عسانا فاعلون
ليتوقف قتل البنون
ويعود لك مجدك
كما كان في سالف القرون
●●●
لبنان ينادي
هل لي بكسرة خبز وماء
إني بلد الكبرياء
اشعر بالعطش
واريد أن اتخلص من هذا الظمأ
ليس عطشاً لعصير أو لماء
بل أن أعود كما كنت

بلد السلام والحب
بلد الجمال
إني بيروت
انادي
انادي مسقط ،دمشق،عمان،صنعاء
انادي، القاهرة،الرباط،تونس،الدار البيضاء
انادي اخواتي
شقيقتكن في ألم المخاض
لتلد الانتصار
لتلد العزة والكرامة
ليأتي الحصاد
●●●
إني قانا
اودع أطفالي
لينام وا براحة في ذلك العالم
بلاحروب
ولاقتال
ولادماء
ليحلموا بالاحلام الوردية
دون أن تحطم الدبابات العدوانية
أو تقتلها طلقات خلت من الانسانية
●●●
فإلى متى سأظل هكذا
اموت كل يوم ألف مرة واحترق ويواسونني كل مرة
متى ستأتي تلك المرة
لأتحرر فيها من معاناتي المُرَّة

الكتلة الحرجة

الشباب بين ثقافة التسلية وعنف الانفجار

"العالم العربي" - كجزء من العالم المسمى بالنامي- يشكل مجتمعاً شاباً من حيث اغلبيته العددية، وكان حريا بهذا التشكيل أن يكون كنزاً تفترف منه الأمة لصياغة حاضر زاهر، والإعداد لمستقبل أكثر ازدهاراً، لكن هذا الكنز - مع الأسف الشديد - يتم إهداره وتبديده بوعي، وبغير وعي، وبوسائل بعضها عالمي، أو عولمي ومعظمها عربي محلي، والأمر من الخطورة التي تستوجب وقف هذا الاهدار، إذا أردنا أن نعيش بشيء من الاستحقاق في الحاضر، وشيء من الإرادة في المستقبل.

د. سليمان إبراهيم العسكري

أبدأ تسطير هذا الحديث، بينما معظم شوارعنا العربية تبدو خالية في أغلب ساعات ما بعد الظهيرة والمساء- على غير عادتها- ليس بفعل حر الصيف العربي الآخذ في الهاب الشوارع بشمسه الحارقة، ورياح السموم الموسمية، بل بفعل شاشات التلفزة التي تتسمر أمامها أغلبية هذه الأمة- وجلهم من الشباب- لمتابعة مباريات كأس العالم في كرة القدم، التي تجري في ألمانيا، بالرغم من أنني لست بعيداً عن الانجذاب لمشاهدة هذه الساحرة المستديرة بين الأقدام البارعة، فإنني وجدتني أتساءل: هل يتمثل شبابنا ذلك السحر الآخر للأمة الألمانية، التي تنظم الدورة هذه، عبر الملاعب، ومن حولها؟

وهل يدركون ببصائرهم ما وراء هذه الأيام من بناء وتأهل علمي وتقني وكفاية معيشية؟ وهل الرماد فعلياً، وليس مجازياً، نهضت من تحت الرماد فعلياً، وليس مجازياً، نهضت من تحت حطام وخرائب ألمانيا المهزومة والمدمرة من جيوش وأسلحة أقوى دول العالم في الحرب العالمية الثانية التي توقفت عام ١٩٤٥م، وأخذت تلملم أشلاءها من تحت الانقاض، وتعيد بناء دولة كاملة من جديد، وفي زمن قياسي، وكان لها ما أرادت بالرغم من التقسيم وقوات الاحتلال الجاثمة على أراضيها، والوصاية المعلنة والمستترة للمنتصرين، وبزغت ألمانيا الجديدة كقوة مقتدرة اقتصادياً وحضارياً، وواصلت صعودها وهي تستعيد نصفها المشطور مما وراء سور برلين المنهار، وتغدو أحد أهم الكبار في العالم، وصار من حقها أن تلعب، وأن تستضيف قمة اللعب بالساحرة المستديرة على أراضيها.

هل يدرك الشباب العربي ذلك وهم يتحلقون حول شاشات التلفزيون التي تذيع مباريات كأس العالم؟ هل تطوف بخواطرهم صور المأثرة الألمانية وهم يقفزون ويتصايحون احتفالاً بالأهداف الجميلة، أو يصرخون لضياع أهداف أخرى؟ كنت أتساءل في داخلي، ثم وجدتني أحتج على السؤال، وأضيف: لماذا الشباب وحده هو من نوجه له التساؤل، أليست الأجيال السابقة عليه هي الأولى بالانتباه والتساؤل؟ وخلصت من هذا إلى أن اللوم ينبغي تأجيله، حتى نحدد الظاهرة، فتحدد المسئوليات. ولا أظن أن الشباب هم المسئول الأول عما يعانونه، فالمسئولية تشملنا جميعاً، لانها قلب المسئولية في أمتنا العربية، من كل البلدان، وفي كل الأزمنة.

الكتلة الحرجة

يتشبث بخاطري تعبير تردد كثيراً وورد في كتاب "الانسان المهدور" الذي لا يزال هو الآخر متشبثاً بانتباهي ومنطلقاً للحديث، والكتب المهمة تكمن أهميتها ليس فقط فيما تحتويه، بل فيما تستثيره في ذهن قارئها، وما تخلفه من مخزون يرسل وميضه بين آن وآخر، وتكون العودة إليها ليست مجرد عرض لما تحتويه، بل منطلقات لما استفزته أو أيقظته من أفكار في ذهن قارئها. والعبير الذي أعنيه هو الاشارة إلى الشباب بمسمى "الكتلة الحرجة" فعندما تقصيت المعنى، عرفت أن الكتلة الحرجة هي كتلة المادة المشعة اللازمة لانطلاق التفاعل النووي، سواء كان سلمياً يعطي طاقة هائلة لنفع الانسان أو حربياً ينشر الدمار والخراب والرعب للبشرية. أليست طاقة الشباب المتفجرة تشبه هذا التفاعل؟ تتفجر خيراً يعم الجميع إن أحسنا إدارته، أو دماراً لا يستثني أحداً؟ إنها لكذلك، فالشباب بحساب الأغلبية من منتسبيه، وبغير ارادة منه ولا اختيار، يجد نفسه بين أمرين يشكلان الصورة الشائعة في عالمنا العربي المتخم بالبطالة، سواء كانت بطالة سافرة أو مقنعة، فهو إما في وضع الاعتمادية أو "التطفيل" بمعنى البقاء في مواقع الطفولة غير المسئولة. أو من خلال الإلهاء بمختلف الوان التسلية والإثارة، كي تكال له من التهم بالميوعة، وعدم الجدية وقلة تحمل المسئولية. وسواء كان الشباب في موضع "التطفيل" أو موضع "الإلهاء" فهو مهدور الكيان، مما يوقع به في مصيدة التعرض لخطر انفجارات العنف القردي والجنوح، أو الوقوع في إغراءات ومصيدة حركات التطرف التدميرية، التي تستثمر طاقة الشباب الوثابة المحبطة في مخططات ليست بعيدة عن عبث الأيادي الآثمة الغريبة الأمة.

العلم الغائب

لقد أرق الإهدار بعضاً من مفكرينا العرب، فأعربوا عما يؤرقهم بمعالجات مختلفة، لكن صاحب الكتاب الذي ينطلق منه حديثنا د. مصطفى حجازي، ذهب بعيداً في تعبيره عن أرقه، حتى طالب بعلم خاص، لاحظ غيابه الفادح في حياتنا، وهو "علم الشباب" وعن ذلك العلم يقول : "قد يكون الأكثر مدعاة للتساؤل تقصير علم النفس، والعلوم الإنسانية عموماً في دراسة واقع الشباب وقضاياهم المتزايدة في حدتها وحرارتها ومأزقيتها. ومازال التركيز في علم نفس النمو ممحوراً حول الطفولة والمراهقة، مع إغفال فئة الشباب والقفز فوقها وصولاً إلى مرحلة الرشد وقضاياها. هذا في الوقت الذي لم تعد فيه المراهقة تمثل أزمة فعلية، أو على الأقل لم يعد لها مركز الصدارة في أزمات النمو، بفضل تفتح الأجيال على الدنيا، وتوافر مقادير كبيرة من إمكانات المعرفة وحرية السلوك، وتزايد التسامح الاجتماعي. الأزمة الراهنة تحولت إلى فئة الشباب الذين أصبح وضعهم يقتضي تطوير اختصاص قائم بذاته، وهو اختصاص مركب وشمولي يتعين أن يدخل فيه علم النفس وعلم الاجتماع الثقافي والسياسي والاقتصادي، وسوق العمل، والإعلام وتكنولوجيا المعلومات... آن الأوان كي يطور علم خاص بهم هو "علم الشباب" والواقع أن عدم تطوير مثل هذا العلم إلى الآن في جامعاتنا ما هو سوى دليل إضافي على هدر الشباب.

وتكفي نظرة سريعة إلى واقع الشباب في عصر العولمة عموماً، وواقعهم في بلاد هدر الإنسان كي تتضح مدى أهمية مثل هذا العلم وضرورته، كأساس لوضع سياسات شبابية على الصعيد المجتمعي في التربية والعمل، والمشاركة الاجتماعية والانتماء، كما في الترويح..".

تبديد الخصوبة

لاشك أن حياتنا العربية الراهنة والمستقبلية في أمس الحاجة لعلم نفهم به الشباب، ونفسح برؤى هذا العلم المجال لتفعيل طاقاتهم. أو على الأقل ينبغي أن نتلمس خصائص هذه الفترة العمرية، ونسأل أنفسنا عما يحدث لها من منطلق مصلحة الأوطان والأمم. وهنا سنجد امامنا مفارقة مذهلة تنبئنا بأوضح صورة ممكنة أننا نفقد الكثير من طاقة شبابنا. ومن ثم نضيع الأمل. أمل الحاضر ووعد المستقبل. فأبسط مراجعة لخصائص الشباب يمكن أن تتلخص في كلمة واحدة هي "الخصوبة" ليس بالمعنى الجنسي الضيق لهذه الكلمة، ولكن بكل المعاني الواسعة، التي تستوعب التفجيرات الجسدية والنفسية والعاطفية والروحية لهذه الفترة الثمينة من فترات عمر الكائن البشري، والتي تتجلى في حيوية الطموح والمبادرة والمغامرة وحب الحياة وقبول التحديات، إنها باختصار: حيوية العطاء والاقتدار عليه، وهو عطاء فياض لو أحسن استثماره، لكن نظرة شاملة لواقع الحال العربية، كفيلة بأن تخبرنا بأننا لا نستثمر هذا الاقتدار على العطاء، بل نستسلم لنوع من الالتفاف على الشباب، ولا يكتفي بتفريغ هذه الخصوبة من محتواها الخلاق، بل يرمي بها في اتجاه العقم، والمقصود قطعاً ليس العقم بمعناه الجسدي الفردي، لكنه العقم الذي لا يمنح الحاضر طاقة الفعالية والاقتدار، ومن ثم يحرم المستقبل من الأمل. أما آليات هذا الالتفاف على الشباب، والتي تجهض خصوبة استعدادهم للعطاء، فهي بفعل فاعل مع سبق الإصرار والترصد، محلياً وعالمياً، يرمي إلى هدف واحد هو امتصاص هذه الطاقة الشبابية بنوع من الاشباع الافتراضي لمداواة الاحباط والحرمان الواقعي، وهو اشباع سرابي يوهم بالحصول على "فرصة الإحساس بالمبادرة والقدرة والتفاعل واللقاء والعلاقات، ولو كانت افتراضية، بدلاً من الحياة الهزيلة الرتيبة التي يسيطر عليها الحظر والمنع، ويفرض عليها الخواء الوجودي". وأخطر ما في هذا الاشباع الافتراضي بأبعاده العالمية العولمية، من خلال قواعد معلوماتها وإعلامها يكمن في فقدان السلطات التقليدية "الأسرية والمدرسية والمجتمعية" لمرجعيته، حيث لم يعد الكبار يشكلون مرجعية فعلية للجيل الصاعد، على صعيد المعرفة على الأقل، الجيل الصاعد يعرف أكثر من الكبار، ويتقن التعامل مع تقنيات المعلومات وقواعدها، بل هو يعيش بها ولها أحياناً، لدرجة أصبح معها هو المرجع للكبار حين تستعصي عليهم أسرار عملياتها التشغيلية.

الجيل الجديد هو بصدد استبدال مرجعية الشبكة ((WWWبمرجعية الكبار، حيث أصبح تفقد سلطتهم مشروعيتها، بعد أن فقدت مرجعيتها. إلا أن هؤلاء الكبار مازالوا يتحكمون بزمام مصير جيل الشباب على مستوى الواقع وهذا الوضع فيه من التناقض مايضع الشباب في حال يمكن تسميتها "الشباب المعلق" بانتظار آمال متزايدة التباعد عن إمكان التحقيق. ومع هذا التهميش تتصاعد أزمات الحرمان من بناء مكانة وهوية منجزة، والقيام بالأدوار المنتجة، وانحسار فرص إشباع الحاجات العاطفية، وتفاقم مرارة العزوبية والعنوسة في أغلب البلاد العربية.

وليس غريباً إذن أن نكون بصدد احتقانات ما تنفك تتراكم لدى الشباب، مولدة الإحباط والغضب لديهم، في الآن عينه الذي تولد الشك والحذر منهم. ومع هذا المأزق يكاد المجتمع يتحول إلى موطن وبؤر تفجير متنوعة الألوان: تطرف في كل الاتجاهات وأصوليات جامدة وعنف ووسائل تعويض غير متكفية، أو تبلد واستسلام واجترار الكآبة والمرارة والجنوح باتجاه ألوان متنوعة من الادمان الجسدي والعقلي، والتوجهات التدميرية التي تقع القيادة المتهورة للسيارات – على سبيل المثال- في طرف منها- مع التحفظ على المصطلح – في الطرف الآخر، فكلها سلوكيات التفافية على طاقة الشباب، تنتهي إلى تدمير الذات الفردية والذات الجماعية بعد ذلك.

مجتمع الخمس

إن المأزق الذي يطبق على راهن الشباب العربي هو صورة مما يحدث لكثير من الشباب في العالم المسمى بالنامي، لكن الصورة في تناقضها مع مايزخر به العالم العربي من إمكانات تغدو غير مبررة، وعلى الرغم من المسئولية العربية عن إهدار طاقة الشباب العربي، إلا أن هناك بعداً عالمياً عولمياً لابد من رصده، فالإلمام بمجمل الصورة يجعل من نوايا وإرادات ومخططات الفكاك من مصيدة الإهدار أمراً ممكناً أو على الأقل محتملاً، خاصة إذا انحزنا -كما هو منطقي- لأحلام حاضرنا ومستقبلنا واستحقاقنا كأمة عربية لشغل موقع كريم في الحياة المعاصرة.

ولكن ندرك البعد العالمي العولمي فيما يعانيه شبابنا، وكثير من شباب البلدان الفقيرة -من إهدار، علينا أن نعود إلى أكثر من عقد كامل إلى الوراء، ففي سبتمبر ١٩٩٥م اجتمع في فندق فيرمونت، بسان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية حشد من قادة الفكر والسياسة في العالم لمناقشة موضوع "مستقبل العمل في العالم" وحمل هذا الحشد من القادة اسماً براقاً هو "تكتل الأدمغة" Brāintrust، وكان هذا التكتل بدعوة من زعيم الاتحاد السوفيتي المنهار، صاحب شعار البيريسترويكا والجلاسنوست أي إعادة البناء والشفافية، ميخائيل جورباتشوف. والأمر برمته يدعو إلى التعجب، لكن مسار المناقشات كان مدهشاً بينما المجتمعون يرسمون مخططات عامة لنظام اجتماعي جديد ,وبدا أن كل الحاضرين قد أجمعوا على أن مجتمع القرن الحادي والعشرين المزود بالتقنيات المتقدمة والاستثمارات الجبارة المعتمدة على أقل عدد من العمالة فائقة المهارة والتدريب، سينال فرصة العمل فيه فقط ٢٠٪ من المجموع العام، أما البقية ٨٠٪ فسيتوقف حظهم عند البقاء في حالة أشبه بالتنويم المغناطيسي أو الغشية أو التخدير، ينالون الحد الأدنى لمواصلة الحياة مع جرعة كبيرة من التسلية! ولقد دشن "زبيجنيو بريجنسكي" مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق على زمن الرئيس الأمريكي كارتر، هذه الحالة من الغشية أو الحذر أو التنويم بمصطلح يمكن ترجمته بـ "رضاعة التسلية" Titttainmentفالمصطلح مكون من دمج كلمتين : كلمة Titالتي تعني حلمة الثدي وتشير إلى الرضاعة، وكلمة التسلية والترفيه Entettainment. كانت هذه الرؤية المستقبلية، أو السيناريو المرسوم ,أو النبوءة العلمية تقوم بتحديد معالم الطريق إلى القرن الحادي والعشرين، ولقد رأت أن الطاقة البشرية القادرة على العمل ستتوزع مستقبلاً ما بين ٢٠٪ يعملون و ٨٠٪ عاطلين عن العمل. ولقد قدر خبراء عدد من الشركات العملاقة ان خمس قوة العمل الحالية سيكفي لسد احتياجات الخدمات رفيعة القيمة التي تحتاج اليها العولمة، وهو ما أطلق عليه بعضهم تسمية (مجتمع الخمس)، أي أن خمس الطاقة البشرية سيعمل ويحصل على كفايته، بينما لاتحصل الأخماس والأربعة الباقية إلا على الفتات، وأكثر هذا الفتات هو "رضاعة التسلية" على حد تعبير بريجنسكي.

وبعد مضي أحد عشر عاماً على اجتماع "تكتل الأدمغة" في فندق فيرمونت، يتضح لنا بشكل مذهل أن العالم قد يكون في طريقه فعالياً إلى مجتمع الخمس هذا. وفي هذا المجتمع الذي يعيش أربعة أخماسه مخدرين على فتات الطعام والمأوى ووفرة التسلية، سيكون الشباب هم أول الضحايا، ولأنهم أغلبية في مجتمعاتنا العربية فإنهم سيكونون أغلبية أيضاً في كتلة المخدرين، وهو أمر تنفر منه طبيعتنا العربية وثقافتنا الروحية التي تعتبر العمل حقاً ليس فقط من حقوق الإنسان بالمعايير الدولية، بل واجباً دينياً لإعمار الأرض وتشريف الحياة.

إستراتيجية الإلهاء

لا أظن أن حالة الإلهاء التي تستغرق شباب الأمة، في المجمل، هي وليدة تخطيط وتدبير واع من متعديها العرب، فحتى في أمور التخريب لا يمكن أن نجزم بوجود تخطيط ولا تكتيك ولا إستراتيجية كما في الكثير من أمور حياتنا، بل هي الفوضى والغريزة، فوضى الاندفاع وغريزة الربح بأي ثمن، ضمن نمط أخلاقي غريب على ثقافتنا وقيمنا، وهو اندفاع تؤكده موجة انتشار وتكاثر القنوات الفضائية التجارية ذات التوجهات الترفيهية المبتذلة في الكثير منها، والتي فرضت معاييرها وتوجهاتها على بقية المحطات التقليدية، نظراً لجاذبيتها المخاطبة للغرائز والميل البشري للخفة والتسلية، مقارنة مع رتابة وقحط برامج القنوات الوطنية العربية –في معظم الأحوال– وتتبارى هذه القنوات وتتفنن في أساليب التسلية المسطحة للوعي والمخدرة للمعاناة الوجودية والمكرسة للهدر الذي يرتدي قناع الترفيه. وهناك مثالان واضحان على ذلك، أولهما مباريات كرة القدم التي تحولت إلى عقيدة جديدة للشباب، وثانيهما مختلف برامج التلفزيون التي تتنافس فيها بعض القنوات الفضائية والمخصصة لصناعة "النجومية السريعة" بين جيل الشباب ويضاف إليها بالتلازم والتبادل كل برامج الإثارة الحسية الآنية وموجات الموضة المتجددة التي تعرفها. في كل هذه الحالات يدفع الشباب للإبقاء على مستوى الرغبة والمتعة والإثارة وتقوم محاولة إبعاده عن عالم الأفكار والتساؤل عن مشروعية الهدر الذي يطاله، وكل هذا يدار بغريزة الربح السريع دون أي وازع أخلاقي، لكنه يصب في النهاية في مسار مجتمع "تكتل الأدمغة" . وإن بصورة ممسوخة وممجوجة وعشوائية أيضاً. ولعل النموذج القريب في إطار هذا الإلهاء هو ما حدث من إساءة استخدام لرياضة جماهيرية محبوبة هي كرة القدم، فقد تحولت إلى مشروع تجاري كوني ذي رقم بلايييني يكاد ينافس تجارة النفط والصناعات العسكرية، إنها صناعة تدر بلايين الدولارات من خلال أسعار الدخول الباهظة، والبث التلفزيوني والثياب والأدوات والإعلانات، التي لم يكد رقم أعمالها يتصاعد حتى بدأ يدخل في فئة عشرات المليارات من الدولارات سنوياً، تحولت كرة القدم إلى صناعة نوادي اختيار اللاعبين وتدريبهم وصناعة النجوم من بينهم، ومبارياتها، كلها أصبحت تجارة تدر أسهمها في البورصات أرباحا طائلة، بحيث دخلت في المضاربات المالية ذات المكاسب السحرية ناهيك عن أسعار نجوم الكرة التي ما انفكت تتصاعد كي تتجاوز أسعار آحاد منهم، من فئة أغلى لاعب في العالم، ميزانيات جامعات طموح، في بلدان تحلم بالخروج إلى النور. ولقد رأينا المظاهر التجارية السافرة في العبث بهذه الرياضة تصل إلينا مع "مونديال" الكرة العالمية الأخيرة. وبات واضحاً أن التقاتل للفوز بمتابعة مباريات هذا المونديال في بعض البلاد العربية، هو دليل على إدمان من نوع جديد، يعوض الشعور بنقص الوجود الحقيقي والفعالية المجتمعية والنجاح الهادف بتلك الأهداف التي يسددها في مرمى بعيد، لاعب من فئة النجوم يقدم نجاحاً بديلاً للشباب المحبط الذي يتقاعد عن ممارسة أي رياضة حتى لو كانت رياضة المشي!.

وعلى خطى إستراتيجية الإلهاء والهدر نفسها تسير برامج صناعة النجومية السريعة بين الشباب التي صارت حديث الساعة في الصحافة، وتتبارى بعض الفضائيات في إخراجها محلياً، بعد أن تستوردها من الغرب، حرفياً، وآخر موضاتها هو "تلفزيون الواقع" الذي يضع مجموعة من الشباب صبياناً وبنات من بين الذين يتصفون بما يسمى "نيولوك" تحت المراقبة المستمرة (٢٤ ساعة يومياً)، بحيث تنقل الكاميرات وقائع حياتهم وتصرفاتهم وردود أفعالهم وتعبيراتهم الجسدية والنفسية على الهواء مباشرة، إنها عملية تستبدل بواقع الشباب الفارغ المحبط واقعاً وهمياً اقرب إلى الخيال، إلا أنه يدفع بالمشاهدين كباراً وصغاراً إلى العيش في نوع من الحلم الذي يعوض عن معاناة الواقع وفراغه، وأما المشاركون فيطمعون بالشهرة والنجومية، وخصوصاً في نجومية الفيديو كليب، ويشارك هؤلاء المشاهدون من خلال اتصالاتهم برسائل SMS وتذكر التقارير ان احد هذه البرامج استطاع استقطاب مائة مليون رسالة تصويت SMSلهذا النجم أو ذاك، لإبقائه في المباراة أو خروجه منها وهو ما أصبح يدر ذهباً خالصاً على هذه القنوات، بشكل يتجاوز حتى الدخل من الإعلانات، نحن هنا - إذن - بصدد ظاهرة المشاهد المشارك الذي يعيش مع المرشحين للنجومية، حالة الحلم من خلال التماهي بهم!

الخطورة والانتباه

إن رسم صورة الإهدار الذي يعيشه معظم الشباب العربي، كما وردت في كتاب "الإنسان المهدور"، وكما ترد يومياً في كثير من المطبوعات العربية، وكما تجري كل لحظة تحت أبصارنا، ليس الهدف منها إحباط الأمة، وإقعاد شبابها، بل الهدف هو التنبيه إلى خطورة ما تعكسه الصورة، فالشباب كتلة حرجة فعلاً، بحكم العمر وتأجج الطاقات وترامي الطموح وتمادي الحلم، وهذه الكتلة إما أن تنتج طاقة بناءة تثري الحياة في الحاضر، وتؤسس للبقاء في المستقبل، أو تنفجر عنفاً وجنوحاً ينسف الذات وينسف الآخرين في محيطها، وينسف الحاضر معه المستقبل، وهي قضية بالغة الخطورة، لا ينبغي لنا فيها أن نستسلم لسيناريوهات العولمة المتطرفة التي ترسم لنا طريق "مجتمع الخُمس" كسبيل وحيد للحياة في القرن الواحد والعشرين، أو نمرر بلا مبالاة ابتذالات وكلاء إستراتيجيات الإلهاء المحليين الذين تحركهم روح اللامسؤولية الأخلاقية

من نتاجات الواعدين

العودة

كانت سناء تعيش مع أسرتها في إحدى القرى وقد تركت أسرتها وذهبت للمدينة للبحث عن العمل وهي تتحمل كل عنفوانية الريف ورقة قلوبهم وبعضاً من الصفات الريفية ولكن إلى جانب ذلك كانت قوية الشخصية وذكية وتملك شيئاً من الحنكة، وعند وصولها إلى المدينة أنبهرت بالمدينة والأبنية التي لم تألفها وكثرة الناس، كانت تتحدق بعينها في كل ناحية، أندهشت من تلك الحركة السريعة وأن الكل منشغل في حياته.

وتابعت سناء طريقة في البحث عن العنوان المدون لديها حتى وصلت إلى مبنى ضخم "سكن المغتربات" فرحت سناء، ودخلت وأستلمت غرفتها المشتركة مع صديقة لكن من سكان المدينة، وكانت تدعى ندى فتاة تحمل كل صفات المدينة.

فهل ياترى سوف تتعايش المدينة المفرطة مع الريف المنغلقة!!

في أول لقاء لها دار بينهن حوار شديد وكان لكل منهن وجهة نظر مختلفة عن بعض وكل واحدة منهم تصر على موقفها ووجهة نظرها.

سناء تسخر من ملابس ندى ومن درجة تجددها في الكلام، وكذلك ندى لاتحب طريقة لبس سناء ولا حوارها، وقد وجدت سناء عملاً في أحدى المدارس معلمة، وكانت ندى تعمل في احدى الشركات للدعاية والاعلان وذهبت في الصباح لاستلام عملها في ثانوية للبنات، وعند دخولها إلى الفصل وجدت الفصل يضج بالفوضة ولم يكترث لها أحد الا مجموعة قليلة من الفتيات وطلبت من البقية الجلوس، فجلسوا وأعلمتهم بأنها سوف تعلمهم، وأنها جاءت من القرية سعياً وراء العمل وبدأت تشرح لهم القيم والمبادئ الريفية وكيفية الحياة، وكانت هناك مجموعة الفتيات يسخرن من حديثها، وزاولت سناء عملها رغم المضايقات التي لقيتها من تلك المجموعة، وذهبت سناء إلى المديرة واخبرتها عن تلك المجموعة وخاصة "هبة" استدعت المديرة الفتيات وعاقبتهن، وطلبت منهن احضار أولياء أمورهن واحضرت الفتيات آباءهن ماعدا "هبة" لم تحضر والدها نظراً لعدم وجوده في البلدة، فأستخدمت الحيلة وذهبت باكية إلى "سناء" تعتذر منها وتطلب مسامحتها وسناء في طبيعتها الطيبة قد ساعدتها على ذلك، وعادة الفتيات إلى الفصل، وفي يوم قررت الفتيات الانتقام من "سناء" بما عملته بهن.

ادعت "هبة" في اثناء الحصة بأن أصابها مغص شديد في معدتها وتريد أن تغادر الثانوية وطلبت من "سناء" مرافقتها للمنزل أستغلت "سناء" تاكسي وأخذتها إلى الشقة ، ولكن ماذا؟؟

عند دخول المبنى أثاب سناء شعور غريب وسيطرت عليه لكنها رافقتها وواصلت السير إلى أعلى.

كانت هبة شديدة الفرح بالايقاع بـ سناء وان مارسمته قد نفذ ولم يبقى سوى الجزء الاخير وهو التخلص منها إلى الأبد، وهل قيمها ومبادئها الريفية سوف تساعدها.

فتحت هبه الباب وهي تصرخ وتتألم من بطنها وسناء تساعدها حتى أوصلتها إلى غرفتها ونامت على السرير لاحظت سناء سكوناً ولم تجد أحداً من أهلها فأسرعت إلى الغرفة وسألت هبه أين أهلك؟؟ ومع من تعيشين؟؟

– هبه: أني أعيش مع أختي الكبرى وهي في عملها الآن.

طلبت هبه منها أن تحضر لها شيئاً ساخناً.

وذهبت سناء وعندما تأكدت بأن سناء في المطبخ خرجت من الغرفة متسللة واخرجت شاي كان متواري واعلمته بأن السمكة في الشبك!!

وانها سوف تنصرف، واعطاها المال وخرجت من الشقة.

دخل إلى المطبخ وسناء تحضر الحساء، وأخذ ينظر اليها وإلى قوامها وجمالها الطبيعي الذي لم يرى مثله من قبل وبدأ يقترب نحوها بخطى مثقلة وهي تغني ومنهمكة في الطهو حتى وصلت يديه إلى كاهلها وقبض عليها، صرخت سناء ولفتت فوجدته شاباً قوي البنية يقبض عليها بيديه ويريد ضمها نحوه صرخت سناء ودفعته عنها، من أنت؟؟ ماذا تعمل هنا؟؟ أين هبه؟؟ وبدأت بصراخ هبه!! هبه!! هبه!! أين أنتي أخبرها بأن هبه قبضت نصيبها وانصرفت وان مرضها سبب للأنتقام والايقاع بها، وأن لا يوجد أحد في الشقة سواهما واندفع نحوها ولكنها حاولت الهرب ولكن دون جدوى، ثم امسك بها مرة اخرى بقوة، وحاولت دفعه ولكنها لم تستطع لفتت إلى الخلف وجدت سكيناً اخذتها واغمدتها في صدره ووقع الشاب على الأرض وهو غارق في دمه، تجمدت عيونها وتوقفت دقات قلبها وسكنت الحركة وعم المكان الصمت الرهيب بينما هما كذلك، هبه مازالت تمشي في سلم البناية فسمعت صدى وقوع الشاب على الأرض من الشقة هرعت مسرعة إلى خارج البناية واتصلت بشرطة عن وقوع جريمة.

سناء بدأت تتمالك نفسها أقتربت نحوه، وحاولت معرفة هل مازال على قيد الحياة؟؟ ولكن يديها أرتجفت ولم تستطع لمسه.

انهارت قواها وجلست بجانبه وهي تصرخ وتبكي، وماهي الا لحظات وحضرت الشرطة واعتقلت سناء وأسعف الشاب.

علمت ندى بما حصل وجاءت الشرطة ومعها محامي وجاء كل فتيات ومدرسي الثانوية لتبرئ سناء وامتلأ قسم الشرطة بالطلبة المدرسين وندى ومحاميها.

ولكن مشيئة الله فوق كل شيء والشاب لم يمت واعترف بكل ماحصل وأنه ماقد وقع كان بسبب طيش وحقد فتاة لم تتجاوز التاسعة عشرة وأنها لاذنب لها، وأنها كانت تدافع عن نفسها وتمت تبرئة سناء وخرجت من قسم الشرطة وجدت كل البنات والمدرسين وصديقتها ندى في انتظارها فرحت سناء لمحبتهم لها ولكنها قررت العودة إلى الريف لعدم استطاعتها العيش في المدينة وفي اليوم التالي رافق سناء كل من يحبها من أهل المدينة وودعوها وعادت إلى الريف.

الطالبة: ميرفت مسعود حسن باذيب
كلية الآداب تخصص علم اجتماع